**نماذج الحيطة والحذر**

موقع الدرر السنية

موسوعة الأخلاق والسلوك

**أ- عِندَ الأنبياءِ والمُرسَلينَ**

كان أنبياءُ اللَّهِ ورسُلُه عليهم السَّلامُ على حَذَرٍ من أعدائِهم، يحتاطون في ذلك ويتفطَّنون له، فيَسلُكون أسبابَ الظَّفَرِ منهم والنَّجاةِ مِن كَيدِهم، وفي القرآنِ الكريمِ شواهِدُ لذلك من أفعالِ الأنبياءِ والمُرسَلين.

**- موسى عليه السَّلامُ:**

فهذا موسى عليه السَّلامُ لمَّا قَتَل قِبطيًّا أصبح خائفًا حَذِرًا من جنودِ فِرعَونَ، فلم ينتَظِرْ أن يحيطَ به أعداؤه، بل كان يَقِظًا متأهِّبًا حَذِرًا، فأخذ بالأسبابِ وسارع بالخروجِ من هذه المدينةِ مع اللُّجوءِ إلى اللَّهِ ودُعائِه.

قال تعالى: فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ [القصص: 21] .

(فخرَج منها خائفًا يترَقَّبُ، أي: فخرج موسى من مدينةِ فِرعَونَ خائفًا على نفسِه يتلفَّتُ، ويترقَّبُ متابعةَ أحَدٍ لهـ) .

**- لوطٌ عليه السَّلامُ:**

وهذا لوطٌ عليه السَّلامُ يستجيبُ لأمرِ اللَّهِ سُبحانَه، فيسيرُ بقومِه في اللَّيلِ قَبلَ الصُّبحِ، وكان هو في مؤخِّرتِهم يتفقَّدُهم، ولا يدَعُ أحدًا منهم يتخَلَّفُ أو يتلَكَّأُ أو يتلفَّتُ إلى الدِّيارِ، على عادةِ المهاجِرين الذين يتنازَعُهم الشَّوقُ إلى ما خلَّفوا من ديارِهم؛ فيتلفَّتون إليها ويتلكَّؤون.

قال تعالى: فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ [الحَجَرٍ: 65] .

قال القُرطبيُّ: (وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ أي: كُنْ مِن ورائِهم لئلَّا يتخَلَّفَ منهم أحدٌ فينالَه العذابُ. وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ نُهوا عن الالتِفاتِ ليَجِدُّوا في السَّيرِ ويتباعَدوا عن القريةِ قَبلَ أن يفاجِئَهم الصُّبحُ) .

**- يعقوبُ عليه السَّلامُ:**

قال اللَّهُ تعالى حكايةً عن نبيِّه يعقوبَ عليه السَّلامُ ما قاله ليوسُفَ عليه السَّلامُ: يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا [يوسف: 5] ، ففيه الحثُّ على التَّحرُّزِ ممَّا يُخشى ضُرُّه؛ فالإنسانُ مأمورٌ بالاحترازِ، فإن نفع فذاك، وإلَّا لم يَلُمِ العبدُ نَفسَه .

وقال حكايةً عنه أيضًا قولَه لأبنائِه: يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ [يوسف: 67] . من بابِ الأخذِ بالحَذَرِ والحَيطةِ.

**- سُلَيمانُ عليه السَّلامُ:**

وقد تجَلَّت يقَظةُ نبيِّ اللَّهِ سُليمانَ عليه السَّلامُ، وكانت سمةً من سماتِه الشَّريفةِ، فلم يَغفُلْ عن غَيبةِ جُنديٍّ من جنودِه بَيْنَ حَشرٍ ضَخمٍ من الجِنِّ والإنسِ والطَّيرِ، الذي يُجمَعُ آخِرُه على أوَّلِه؛ كي لا يتفَرَّقَ وينتَكِثَ.

قال تعالى: وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ \* لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ [النمل: 20 - 21] .

قال القُرطبيُّ: (في هذه الآيةِ دليلٌ على تفَقُّدِ الإمامِ أحوالَ رعيَّتِه، والمحافظةِ عليهم؛ فانظرْ إلى الهدهُدِ مع صِغَرِه كيف لم يَخْفَ على سُلَيمانَ حالُه، فكيف بعِظامِ المُلْكِ) .

**ب- الحَذَرُ والحَيطةُ عِندَ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم**

كان النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم سَيِّدَ المتوكِّلين، وإمامَ المتَّقين، قد عصَمَه اللَّهُ سُبحانَه من أن يَصِلَ إليه أحدٌ بسُوءٍ، ومع ذلك فقد كان صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يأخذُ بالأسبابِ مع الحَذَرِ والحَيطةِ في أمورِه، سواءٌ تعَلَّقَت به أو بأمورِ المُسلِمين.

- قال القاضي عِياضٌ في بيانِ ما كان عليه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم من الحِرصِ والحَذَرِ والحَيطةِ في أمورِه: (كان رسولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يؤلِّفُهم ولا يُنَفِّرُهم، ويُكرِمُ كريمَ كُلِّ قومٍ ويُوَلِّيه عليهم، ويحذَرُ النَّاسَ ويحتَرِسُ منهم، من غيرِ أن يطويَ عن أحدٍ منهم بِشْرَه ولا خُلُقَهـ) .

- فقد اختبأ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم في غارِ ثَورٍ أثناءَ هِجرتِه هو وصاحِبُه أبو بكرٍ، وأخذ بكُلِّ وسائِلِ الحَيطةِ والحَذَرِ؛ تقولُ عائشةُ رَضِيَ اللَّهُ عنها: (ثمَّ لَحِق رسولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم وأبو بكرٍ بغارٍ في جَبَلِ ثَورٍ، فكَمَنا فيه ثلاثَ ليالٍ) .

وما فَعَل صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ذلك إلَّا من أجْلِ أن تَتِمَّ هِجرتُه إلى المدينةِ، مع كونِه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم مُستشعِرًا لمعيَّةِ اللَّهِ تعالى، إلَّا أنَّه كان حَذِرًا من إدراكِ المُشرِكين.

- وعن عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عنها قالت: ((كان النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم سَهِرَ، فلمَّا قَدِم المدينةَ قال: ليت رجُلًا من أصحابي صالحًا يحرُسُني اللَّيلةَ، إذ سَمِعْنا صوتَ سِلاحٍ، فقال: مَن هذا؟ فقال: أنا سَعدُ بنُ أبي وقَّاصٍ، جِئتُ لأحرُسَك، ونام النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم)) .

- وعن البراءِ بنِ عازبٍ رَضِيَ اللَّهُ عنهما يحَدِّثُ، قال: ((جعل النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم على الرَّجَّالةِ يومَ أحُدٍ - وكانوا خمسينَ رَجُلًا- عبدَ اللَّهِ بنَ جُبَيرٍ، فقال: إن رأيتُمونا تخطَفُنا الطَّيرُ فلا تَبْرَحوا مكانَكم هذا حتَّى أرسِلَ إليكم، وإن رأيتُمونا هَزَمْنا القومَ وأوطَأْناهم فلا تَبرَحوا حتَّى أُرسِلَ إليكم)) .

- وعن أنَسِ بنِ مالِكٍ، قال: ((بَعَث رسولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم بُسَيسةً عينًا ينظُرُ ما صنَعَتْ عِيرُ أبي سفيانَ، فجاء وما في البيتِ أحَدٌ غيري وغيرُ رَسولِ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم -قال: لا أدري ما استثنى بعضَ نِسائِه- قال: فحدَّثه الحديثَ، قال: فخرج رسولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم فتكَلَّم، فقال: إنَّ لنا طَلِبةً، فمن كان ظَهرُه حاضِرًا فليركَبْ معنا...)) .

(«عينًا»: أي: مُتجَسِّسًا ورَقيبًا. والعِيرُ: الإبِلُ والدَّوابُّ التي تحمِلُ الأحمالَ. وقولُ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم للصَّحابةِ: «إنَّ لنا طَلِبةً» أي: شيءٌ نطلُبُه. «فمَن كان ظهرُه حاضِرًا فليركَبْ معنا»: فيه كَتمُ أمورِ الحَربِ، وأنَّ الحَزمَ تَركُ إنشائِها والتَّوريةُ بها؛ لئلَّا يطَّلِعَ العَدُوُّ عليها، ولتؤخَذَ على غِرَّةٍ) .

- وعن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللَّهُ عنه، قال: ((بعث رسولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم عَشَرةَ رَهطٍ سَرِيَّةً عَينًا، وأمَّر عليهم عاصِمَ بنَ ثابتٍ الأنصاريَّ ...)) .

- وعن إبراهيمَ التَّيميِّ، عن أبيه، قال: كنَّا عِندَ حُذَيفةَ، فقال رجُلٌ: لو أدركْتُ رسولَ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قاتَلْتُ معه وأبلَيتُ، فقال حُذَيفةُ: ((أنت كُنتَ تَفعَلُ ذلك؟! لقد رأيتُنا مع رسولِ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ليلةَ الأحزابِ، وأخذَتْنا ريحٌ شديدةٌ وقُرٌّ ، فقال رسولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: ألا رجُلٌ يأتيني بخبَرِ القومِ جَعَله اللَّهُ معي يومَ القيامةِ؟ فسكَتْنا فلم يجِبْه منَّا أحدٌ، ثمَّ قال: ألَا رجُلٌ يأتينا بخَبَرِ القومِ جَعَله اللَّهُ معي يومَ القيامةِ؟ فسكَتْنا فلم يُجِبْه منَّا أحَدٌ، ثمَّ قال: ألا رجُلٌ يأتينا بخَبَرِ القومِ جَعَله اللَّهُ معي يومَ القيامةِ؟ فسكَتْنا فلم يجِبْه منَّا أحدٌ، فقال: قُمْ يا حُذَيفةُ، فأْتِنا بخَبَرِ القومِ، فلم أجِدْ بُدًّا إذ دعاني باسمي أن أقومَ، قال: اذهَبْ فأْتِني بخبَرِ القومِ، ولا تَذْعَرْهم علَيَّ، فلمَّا ولَّيتُ مِن عندِه جعَلْتُ كأنَّما أمشي في حمَّامٍ حتَّى أتيتُهم! فرأيتُ أبا سفيانَ يَصْلي ظَهْرَه بالنَّارِ ، فوضَعْتُ سَهمًا في كَبِدِ القَوسِ فأردْتُ أن أرمِيَه، فذكَرْتُ قَولَ رَسولِ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: ولا تَذعَرْهم عَلَيَّ، ولو رمَيتُه لأصَبْتُه، فرجَعْتُ وأنا أمشي في مِثلِ الحَمَّامِ، فلمَّا أتيتُه فأخبَرْتُه بخبرِ القَومِ، وفرَغْتُ قُرِرْتُ ، فألبَسني رسولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم مِن فَضلِ عَباءةٍ كانت عليه يُصَلِّي فيها، فلم أزَلْ نائمًا حتَّى أصبَحْتُ، فلمَّا أصبَحْتُ قال: قُمْ يا نَومانُ!)) .

- وعن زَيدِ بنِ ثابتٍ: أمَرَني رسولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم فتعلَّمتُ له كتابَ يَهودَ، وقال: ((إنِّي واللَّهِ ما آمنُ يهودَ على كتابي)) فتعلَّمْتُه، فلم يمُرَّ بي إلَّا نِصفُ شَهرٍ حتَّى حذَقْتُه، فكنتُ أكتُبُ له إذا كَتَب، وأقرأُ له إذا كُتِبَ إليه .

-وعن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللَّهُ عنه، عن النَّبي صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: ((إنِّي لأنقَلِبُ إلى أهلي، فأجِدُ التَّمرةَ ساقِطةً على فِراشي، ثمَّ أرفَعُها لآكُلَها، ثمَّ أخشى أن تكونَ صَدَقةً، فأُلقيها)) .

**ج- الحَذَرُ واليَقَظةُ والحَيطةُ عِندَ الصَّحابةِ**

كان الصَّحابةُ رَضِيَ اللَّهُ عنهم في يقَظةٍ دائِمةٍ وحَذَرٍ متواصلٍ، سواءٌ فيما يصدُرُ عنهم أو فيما يدورُ حولَهم، فهم يراقِبون اللَّهَ في أقوالِهم وأفعالِهم، ويحتاطون لأمرِ دينِهم ولأمرِ المُسلِمين، ولِما يقعُ حولَهم أو يُكادُ لهم.

**- أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عنه:**

- عن عائِشةَ رَضِيَ اللَّهُ عنها قالت: (كان لأبي بَكرٍ غلامٌ يُخرِجُ له الخَراجَ، وكان أبو بكرٍ يأكُلُ مِن خَراجِه، فجاء يومًا بشيءٍ، فأكَل منه أبو بكرٍ، فقال له الغُلامُ: تدري ما هذا؟ فقال أبو بَكرٍ: وما هو؟ قال: كنتُ تكَهَّنْتُ لإنسانٍ في الجاهليَّةِ، وما أُحسِنُ الكِهانةَ إلَّا أنِّي خدَعْتُه، فلَقِيَني فأعطاني بذلك، فهذا الذي أكَلْتَ منه! فأدخَل أبو بكرٍ يَدَه، فقاء كُلَّ شيءٍ في بطنِهـ) .

فأبو بكرٍ رَضِيَ اللَّهُ عنه له تلك النَّفسُ اليَقِظةُ التي تَحذَرُ الحرامَ، وتحتاطُ لدينِها.

- وتَظهَرُ يَقَظةُ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عنه في أبرَزِ معانيها بعدَ وفاةِ رَسولِ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم وارتدادِ مَن ارتَدَّ من العَرَبِ، وامتناعِ البَعضِ مِن دَفعِ الزَّكاةِ، فيَقِفُ الصِّدِّيقُ لكُلِّ مَن سوَّلت له نفسُه العَبَثَ بنظامِ دَولةِ الإسلامِ، والإخلالِ بقواعدِها.

عن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: ((لَمَّا تُوُفِّيَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم واستُخلِف أبو بكرٍ، وكَفَر من كَفَر من العَرَبِ، قال عُمَرُ: يا أبا بكرٍ، كيف تقاتِلُ النَّاسَ، وقد قال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: أُمِرْتُ أن أقاتِلَ النَّاسَ حتَّى يقولوا: لا إلهَ إلَّا اللهُ، فمَن قال: لا إلهَ إلَّا اللهُ، فقد عَصَم منِّي مالَه ونَفْسَه إلَّا بحَقِّه، وحِسابُه على اللهِ. قال أبو بكرٍ: واللهِ لأقاتِلَنَّ من فَرَّق بين الصَّلاةِ والزَّكاةِ؛ فإنَّ الزَّكاةَ حَقُّ المالِ، واللهِ لو منَعوني عَناقًا كانوا يُؤَدُّونها إلى رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم لقاتَلْتُهم على مَنْعِها، قال عُمَرُ: فواللهِ ما هو إلَّا أن رأيتُ أنْ قد شرَحَ اللهُ صَدْرَ أبي بكرٍ للقِتالِ، فعَرَفْتُ أنَّه الحَقُّ)) .

**- عُمَرُ بنُ الخطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عنه:**

ومن مَظاهِرِ يَقَظتِه رَضِيَ اللَّهُ عنه اهتِمامُه بأمرِ المُسلِمين، ومَعرفةِ ما يجِدُّ مِن أخبارٍ حولَ بلادِ المُسلِمين، وتتبُّعِ أخبارِ عَدُوِّهم لمعرفةِ خُطَطِه وكَيدِه.

يقولُ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عنه: (وكان لي جارٌ من الأنصارِ، فكُنَّا نتناوَبُ النُّزولَ إلى رسولِ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، فيَنزِلُ يومًا وأنزِلُ يومًا، فيأتيني بخبَرِ الوَحيِ وغيرِه، وآتيه بمِثلِ ذلك. وكنَّا نتحَدَّثُ أنَّ غَسَّانَ تُنعِلُ الخيلَ لتَغزونا، فنَزَل صاحبي، ثمَّ أتاني عِشاءً، فضَرَب بابي، ثمَّ ناداني، فخرَجْتُ إليه، فقال: حَدَث أمرٌ عظيمٌ، قلتُ: ماذا؟ أجاءَت غَسَّانُ؟ ...) .

ففي هذا الخَبَرِ يَظهَرُ حِرصُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عنه ويقَظتُه في السُّؤالِ عن غَسَّان؛ اهتمامًا بأمرِ المُسلِمين، وحَذَرًا من مباغَتتِهم مِن قِبَلِ عَدُوِّهم.

-ويحذَرُ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عنه لكَثرةِ الدَّاخِلين على رَسولِ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، فيسألُ رسولَ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم أن يَفرِضَ الحِجابَ على نِسائِه صيانةً لهُنَّ، وحَيطةً لهُنَّ عن أعيُنِ مَن لا يخشى اللَّهَ في أفعالِه.

عن أنَسٍ قال: قال عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عنه: قلتُ: (يا رسولَ اللَّهِ، يدخُلُ عليك البَرُّ والفاجِرُ، فلو أمَرْتَ أمَّهاتِ المُؤمِنين بالحِجابِ؛ فأنزَلَ اللَّهُ آيةَ الحِجابِ) .

وهكذا هي يَقَظةُ الفاروقِ التي تدفَعُه لتوقِّي الشُّرورِ، وتدفعُه للخَيرِ.

وعن طارِقٍ، قال: قلتُ لابنِ عبَّاسٍ: أيَّ رَجُلٍ كان عُمَرُ؟ قال: (كان كالطَّيرِ الحَذَرِ، الذي كأنَّ له بكُلِّ طريقٍ شَرَكًا .

**- عائشةُ رَضِيَ اللَّهُ عنها:**

كانت أمُّ المُؤمِنين شديدةَ اليَقَظةِ في محاسَبةِ نَفسِها، دائمةَ الحَذَرِ مِن أن تَقَعَ في محظورٍ، وحينَ وَقَع بينها وبَينَ عبدِ اللَّهِ بنِ الزُّبَيرِ ما وقع، ونذَرَت ألَّا تحَدِّثَه وحاولوا معها وناشَدوها أن تُكَلِّمَه، كان أشَدَّ ما يُؤلِمُها حَذَرُها وحَيطتُها من أن تخالِفَ نَذرًا نذَرَتْه للهِ سُبحانَه.

عن الزُّهريِّ، قال: ((حدَّثني عَوفُ بنُ مالِكِ بنِ الطُّفَيلِ هو ابنُ الحارِثِ، - وهو ابنُ أخي عائشةَ زَوجِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم لأمِّها- أنَّ عائشةَ حُدِّثَت: أنَّ عبدَ اللَّهِ بنَ الزُّبَيرِ قال في بَيعٍ أو عَطاءٍ أعطَتْه عائشةُ: واللَّهِ لتَنْتَهِينَّ عائشةُ أو لأحجُرَنَّ عليها، فقالت: أهو قال هذا؟ قالوا: نعم، قالت: هو للهِ عليَّ نَذرٌ، أن لا أكَلِّمَ ابنَ الزُّبَيرِ أبدًا! فاستشفَعَ ابنُ الزُّبَيرِ إليها حينَ طالت الهِجرةُ، فقالت: لا واللَّهِ لا أشفَعُ فيه أبدًا، ولا أتحنَّثُ إلى نَذْري. فلمَّا طال ذلك على ابنِ الزُّبَيرِ، كلَّم المِسْوَرَ بنَ مَخْرَمةَ، وعبدَ الرَّحمنِ بنَ الأسوَدِ بنِ عبدِ يَغوثَ، وهما من بني زُهرةَ، وقال لهما: أَنشُدُكما باللَّهِ لمَا أدخَلْتُماني على عائشةَ؛ فإنَّها لا يَحِلُّ لها أن تَنذِرَ قطيعتي. فأقبَلَ به المِسْوَرُ وعبدُ الرَّحمنِ مُشتَمِلينِ بأرديتِهما، حتَّى استأذَنا على عائشةَ، فقالا: السَّلامُ عليك ورحمةُ اللَّهِ وبركاتُه، أندخُلُ؟ قالت عائشةُ: ادخُلوا، قالوا: كُلُّنا؟ قالت: نعم، ادخُلوا كُلُّكم، ولا تَعلَمُ أنَّ معهما ابنَ الزُّبَيرِ، فلمَّا دخلوا دَخَل ابنُ الزُّبَيرِ الحِجابَ، فاعتَنَق عائِشةَ وطَفِق يناشِدُها ويبكي، وطَفِق المِسْوَرُ وعبدُ الرَّحمنِ يُناشِدانها إلَّا ما كلَّمَتْه، وقَبِلَت منه، ويقولان: إنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم نهى عمَّا قد عَلِمْتِ من الهِجرةِ، فإنَّه: لا يحِلُّ لمُسلِمٍ أن يَهجُرَ أخاه فوقَ ثلاثِ لَيالٍ. فلمَّا أكثَروا على عائشةَ مِن التَّذكِرةِ والتَّحريجِ طَفِقَت تُذَكِّرُهما نَذْرَها وتبكي وتقولُ: إنِّي نذَرْتُ، والنَّذرُ شديدٌ، فلم يزالا بها حتَّى كَلَّمَت ابنَ الزُّبَيرِ، وأعتَقَت في نَذْرِها ذلك أربعينَ رَقَبةً، وكانت تَذكُرُ نَذْرَها بعدَ ذلك، فتبكي حتَّى تَبُلَّ دُموعُها خِمارَها)) .

**- عُثمانُ بنُ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عنه:**

ولعَلَّ أبرَزَ مواقِفِ اليَقَظةِ لعُثمانَ رَضِيَ اللَّهُ عنه موقِفُه في جمعِ القُرآنِ على لِسانِ قُرَيشٍ، وشِدَّةُ عَزمِه على ذلك حَيطةً من اختلافِ المُسلِمين في كتابِ اللَّهِ سُبحانَه.

عن أنَسِ بنِ مالِكٍ رَضِيَ اللهُ عنه قال: (إنَّ حُذَيفةَ بنَ اليَمَانِ قَدِمَ على عُثمانَ وكان يُغازي أهلَ الشَّأمِ في فَتحِ أرمينِيَّةَ وأَذْرَبيجانَ مع أهلِ العِراقِ، فأفزعَ حُذَيفةَ اختلافُهم في القُرْآنِ، فقال حُذَيفةُ لعُثمانَ: يا أميرَ المُؤمِنينَ، أدرِكْ هذه الأُمَّةَ قبل أن يختَلِفوا في الكِتابِ اختِلافَ اليَهودِ والنَّصارى، فأرسَل عُثمانُ إلى حَفصةَ: أنْ أرسِلي إلينا بالصُّحُفِ نَنسَخْها في المصاحِفِ، ثمَّ نرُدَّها إليكِ. فأرسَلَت بها حفصةُ إلى عُثمانَ، فأمر زَيدَ بنَ ثابتٍ، وعبدَ اللهِ بنَ الزُّبَيرِ، وسَعيدَ بنَ العاصِ، وعبدَ الرَّحمنِ بنَ الحارِثِ بنِ هِشامٍ، فنسخوها في المصاحِفِ، وقال عُثمانُ للرَّهْطِ القُرَشِيِّينَ الثَّلاثةِ: إذا اختَلَفْتُم أنتم وزيدُ بنُ ثابتٍ في شَيءٍ مِن القُرْآنِ فاكتُبوه بلسانِ قُرَيشٍ؛ فإنَّما نزل بلسانِهم؛ ففعلوا، حتَّى إذا نسَخوا الصُّحُفَ في المصاحِفِ رَدَّ عُثمانُ الصُّحُفَ إلى حَفصةَ، فأرسل إلى كُلِّ أُفُقٍ بمُصحَفٍ ممَّا نسَخوا، وأمَر بما سِواه من القُرْآنِ في كُلِّ صَحيفةٍ أو مُصحَفٍ أن يُحرَقَ) .

**- ابنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عنهما:**

عن سالمٍ أنَّ عبدَ اللَّهِ بنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عنهما قال: (كنتُ أعلَمُ في عَهدِ رَسولِ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم أنَّ الأرضَ تُكْرى، ثمَّ خَشِيَ عبدُ اللَّهِ أن يكونَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قد أحدَث في ذلك شيئًا لم يكُنْ يَعلَمُه، فتَرَك كِراءَ الأرضِ) .

فتأمَّلْ كيف دفَعَت يقَظةُ ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عنه وحَذَرُه وخَوفُه أن يكونَ النَّهيُ عامًّا، وأنَّه يشمَلُ المزارعةَ الجائِرةَ؛ فتركَه حَذَرًا وخَوفًا من أن يكونَ حَدَث في الأمرِ شيءٌ ما عَلِمَه.

**د- الحَذَرُ واليَقَظةُ والحَيطةُ عِندَ السَّلَفِ**

تنوَّعَت صُوَرُ يَقَظةِ السَّلَفِ وحَيطتُهم وحَذَرُهم؛ فليس هناك صورةٌ واحدةٌ لحِرصِهم وحَذَرِهم، فهذا يَحذَرُ الشُّبهةَ في مالٍ أو كَسبٍ، أو شِراءٍ وبيعٍ، وآخَرُ يحتاطُ في القولِ والفِعلِ أشَدَّ الاحتياطِ، وثالثٌ يَحذَرُ في روايتِه للحديثِ، فلا يروي أو يحَدِّثُ إلَّا مَن كان ثقةً أمينًا، إلى غيرِ ذلك من صُوَرِ الحَيطةِ والحَذَرِ واليَقَظةِ.

عن هِشامٍ قال: سمِعتُ الحَسَنَ يقولُ: (واللَّهِ لقد أدركْتُ أقوامًا وإن كان أحَدُهم ليَرِثُ المالَ العظيمَ، قال: وإنَّه -واللَّهِ- لمجهودٌ شديدُ الجَهدِ، قال: فيقولُ لأخيه: يا أخي، إنِّي قد عَلِمتُ أنَّ ذا ميراثٌ وهو حلالٌ، ولكِنِّي أخافُ أن يُفسِدَ عَلَيَّ قلبي وعَمَلي، فهو لك، لا حاجةَ لي فيه! قال: فلا يَرزَأُ منه شيئًا أبدًا، قال: وهو -واللَّهِ- مجهودٌ شديدُ الجَهدِ!) .

فتأمَّلْ مَبلَغَ حَيطتِهم وحَذَرِهم من الدُّنيا، وتأمَّلْ يَقَظةَ قُلوبِهم وشِدَّةِ مراقبتِهم.

**- مالِكُ بنُ أنَسٍ:**

قال بِشرُ بنُ عُمَرَ الزَّهرانيُّ: (سألتُ مالِكًا عن رَجُلٍ، فقال: هل رأيتَه في كُتُبي؟ قلتُ: لا. قال: لو كان ثقةً لرأيتَه في كُتُبي) .

قال الذَّهبيُّ مُعَلِّقًا على هذه الرِّوايةِ: (فهذا القولُ يعطيك بأنَّه لا يروي إلَّا عمَّن هو عندَه ثقةٌ، ولا يلزَمُ من ذلك أنَّه يروي عن كُلِّ الثِّقاتِ، ثمَّ لا يلزَمُ ممَّا قال أنَّ كُلَّ من روى عنه -وهو عِندَه ثِقةٌ- أن يكونَ ثِقةً عِندَ باقي الحُفَّاظِ، فقد يخفى عليه من حالِ شَيْخِه ما يظهَرُ لغيرِه، إلَّا أنَّه بكُلِّ حالٍ كثيرُ التَّحرِّي في نَقدِ الرِّجالِ) .

- وقال مُطَرِّفٌ: (كان مالِكٌ يَستعمِلُ في نفسِه ما لا يلتَزِمُه النَّاسُ، ويقولُ: لا يكونُ العالمُ عالمًا حتَّى يكونَ كذلك، وحتَّى يحتاطَ لنفسِه بما لو ترَكَه لا يكونُ عليه فيه إثمٌ) .

**-ميمونُ بنُ مِهرانَ:**

عن فُراتِ بنِ السَّائِبِ، عن ميمونِ بنِ مِهرانَ، قال: (ثلاثٌ لا تَبلونَّ نفسَك بهِنَّ: لا تدخُلْ على السُّلطانِ وإن قُلتَ: آمُرُه بطاعةِ اللَّهِ، ولا تُصغِيَنَّ بسَمعِك إلى هوًى؛ فإنَّك لا تدري ما يَعلَقُ بقَلبِك منه، ولا تَدخُلْ على امرأةٍ ولو قُلتَ: أعَلِّمُها كتابَ اللَّهِ) .

**- سُفيانُ الثَّوريُّ:**

عن عَطاءٍ الخَفَّافِ قال: (قال لي سُفيانُ الثَّوريُّ ونحن نطوفُ بالبَيتِ وضَرَب حُجْزَتي، فقال: يا عطاءُ، احذَرِ النَّاسَ، وأنا فاحذَرْني!) .

**- محمَّدُ بنُ سِيرينَ:**

عن عاصِمٍ الأحوَلِ، عن ابنِ سِيرينَ، قال: (لم يكونوا يَسألون عن الإسنادِ، فلمَّا وقَعَت الفِتنةُ، قالوا: سمُّوا لنا رجالَكم، فيُنظَرُ إلى أهلِ السُّنَّةِ فيُؤخَذُ حديثُهم، ويُنظَرُ إلى أهلِ البِدَعِ فلا يؤخَذُ حديثُهم) .

وهكذا طَبَّق محمَّدُ بنُ سِيرينَ مبدَأَ الحَيطةِ والحَذَرِ لَمَّا وَجَد داعيَه.

**- عبدُ اللَّهِ بنُ مُحَيريزٍ:**

عن خالِدِ بنِ دُرَيكٍ قال: (خرَج ابنُ مُحَيريزٍ إلى بزَّازٍ يشتري منه ثوبًا، والبزَّازُ لا يَعرِفُه، قال: وعندَه رجُلٌ يعرِفُه، فقال: بكم هذا الثَّوبُ؟ قال الرَّجُلُ: بكذا وكذا. فقال الرَّجُلُ الذي يعرِفُه: أحسِنْ إلى ابنِ مُحَيريزٍ! فقال ابنُ مُحَيريزٍ: إنَّما جئتُ أشتري بمالي ولم أجِئْ أشتري بديني! فقام ولم يَشْتَرِ) .

فتأمَّلْ كيف بلَغَت حَيطةُ عبدِ اللَّهِ بنِ مُحَيريزٍ أن تكونَ في هذه المعاملةِ أدنى شُبهةِ مجامَلةٍ، وكيف خَشِيَ على دينِه منها، فتَرَكها؟!

**- بَلْتَعةُ بنُ الوردِ:**

فقد كان حَذِرًا محتاطًا في مأكَلِه ومَشرَبِه، حريصًا على كَسبِ الحلالِ، متوَرِّعًا عن الحرامِ.

يقولُ: (لو قُمتَ قيامَ السَّاريةِ ما نفَعَك حتى تنظُرَ ما يدخُلُ في بَطنِك!) .

**هـ- الحَذَرُ واليَقَظةُ والحَيطةُ عِندَ العُلَماءِ المتقَدِّمينَ**

**- أبو الفَرَجِ السَّرَخْسيُّ:**

فقد جاء في ترجمتِه: كان وَرِعًا دَيِّنًا، محتاطًا في مأكَلِه ومَلبَسِه إلى الغايةِ، وكان لا يأكُلُ الرُّزَّ؛ لكونِه لا يزرَعُه إلَّا الجُندُ، ويأخُذون مياهَ النَّاسِ غالِبًا ويَسقونه !

**- أبو بَكرٍ الشِّيرازيُّ:**

قال إسماعيلُ بنُ محمَّدٍ الحافِظُ: (كان حَسَنَ السِّيرةِ، من أهلِ العِلمِ والفَضلِ، محتاطًا في الأخذِ، سَمِع الكثيرَ، وكان ثقةً) .

**- ابنُ النَّطَّاعِ:**

قال المُنذِريُّ: (كان شيخًا صالحًا، متحَرِّيًا، متيقِّظًا، حَسَنَ الأداءِ، يمسِكُ أصلَه مع كِبَرِ سِنِّه بيَدِه، وينظُرُ فيه مع القارئِ عليه، وكان مواظِبًا على الجماعاتِ، كثيرَ التَّسبيحِ، طارِحًا للتَّكلُّفِ، مُقبِلًا على ما يَعنيهـ) .

**- الضِّياءُ المَقْدِسيُّ:**

قال ابنُ النَّجَّارِ عن الضِّياءِ: (وَرِعٌ تَقِيٌّ زاهِدٌ عابِدٌ، محتاطٌ في أكلِ الحلالِ، مجاهِدٌ في سبيلِ اللَّهِ، ولعَمْري ما رأت عيناي مِثلَه في نزاهتِه وعِفَّتِه، وحُسنِ طريقتِه في طَلَبِ العِلمِ) .

------

(1) ((التفسير المنير)) للزحيلي (20/77).

(2) ((الجامع لأحكام القرآن)) (10/38).

(3) يُنظَر: ((فوائد مستنبطة من قصة يوسف عليه السلام)) للسعدي (ص: 21).

(4) ((الجامع لأحكام القرآن)) (13/178).

(5) ((الشفا)) (1/245).

(6) فكَمَنا: أي: اختَفَيا. يُنظَر: ((فتح الباري)) لابن حجر (1/ 180).

(7) أخرجه البخاري (3905).

(8) أخرجه البخاري (2885) واللفظ له، ومسلم (2410).

(9) الرَّجَّالةُ جمعُ راجِلٍ، وهم الذين لا خَيْلَ معهم. يُنظَر: ((إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري)) للقسطلاني (5/158).

(10) أي: أوطَأْناهم الخيلَ، أو: غلَبْناهم وقهَرْناهم. يُنظَر: ((مطالع الأنوار على صحاح الآثار)) لابن قرقول (6/199).

(11) أخرجه البخاري (3039) مطوَّلًا.

(12) أخرجه مسلم (1901) مطوَّلًا.

(13) ((إكمال المعلم)) للقاضي عياض (6/322، 323).

(14) أخرجه البخاري (3045).

(15) أي: بَرْدٌ. يُنظَر: ((شرح النووي على مسلم)) (12/ 145).

(16) الذُّعرُ: الفَزَعُ، يريدُ: لا تُعلِمْهم بنفسِك وامشِ في خفيةٍ؛ لئلَّا يَنفِروا منك ويُقبِلوا علَيَّ. يُنظَر: ((النهاية في غريب الحديث)) لابن الأثير (2/161).

(17) الحمَّام مُشتَقٌّ من الحميمِ، وهو الماءُ الحارُّ، والمرادُ أنَّه لم يجِدِ البردَ الذي يجِدُه النَّاسُ، ولا من تلك الرِّيحِ الشَّديدةِ شيئًا، بل عافاه اللهُ منه ببركةِ إجابتِه للنَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم وذَهابِه فيما وجَّهه له ودُعائِه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم له، واستمَرَّ ذلك اللُّطفُ به ومعافاتُه من البردِ حتى عاد إلى النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، فلمَّا رجَع ووصَل عاد إليه البردُ الذي يجِدُه النَّاسُ! وهذه من معجزاتِ رَسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم. يُنظَر: ((شرح النووي على مسلم)) (12/ 146).

(18) أي: يُدَفِّئُه ويُدنيه منها. يُنظَر: ((شرح النووي على مسلم)) (12/ 146).

(19) قُرِرْتُ: أي: أصابني البردُ الذي كان يجِدُه النَّاسُ. يُنظَر: ((إكمال المعلم بفوائد مسلم)) للمازري (6/ 161).

(20) أخرجه مسلم (1788).

(21) أخرجه البخاري معلَّقًا بصيغة الجزم (7195)، وأخرجه موصولًا أبو داود (3645) واللفظُ له، والترمذي (2715). صحَّحه الترمذي، والحاكم في ((المستدرك)) (252)، والألباني في ((صحيح سنن أبي داود)) (3645)، وشعيب الأرناؤوط في تخريج ((سنن أبي داود)) (3645).

(22) أخرجه البخاريُّ مُعَلَّقًا بصيغةِ الجزم (2432)، وأخرجه موصولًا مسلم (1070) واللفظ له.

(23) أخرجه البخاري (3842).

(24) العَناقُ: الأُنثى من أولادِ المَعزِ ما لم يَتِمَّ له سَنةٌ. ينظر: ((النهاية في غريب الحديث والأثر)) لابن الأثير (3/ 311).

(25) أخرجه البخاري (6924، 6925) واللَّفظُ له، ومسلم (20).

(26) أي: تجعَلُ لها نَعلًا. يُنظَر: ((طرح التثريب)) للعراقي (8/ 137).

(27) أخرجه البخاري (2468)، ومسلم (1479) واللفظ له.

(28) أخرجه البخاري (4483). وأخرجه مسلم (2399) عن ابنِ عُمَرَ، قال: قال عُمَرُ: (وافَقْتُ رَبِّي في ثلاثٍ: في مقامِ إبراهيمَ، وفي الحِجابِ، وفي أُسارى بَدرٍ).

(29) أي: حِبالةُ الصَّائدِ. يُنظَر: ((مختار الصحاح)) لزين الدين الرازي (ص: 164).

(30) ((تاريخ دمشق)) لابن عساكر (44/ 312). ويُنظَر: ((البيان والتبيين)) للجاحظ (3/ 177)، ((محاضرات الأدباء)) للراغب (2/ 425).

(31) أخرجه البخاري (6073، 6074، 6075).

(32) أخرجه البخاري (4987).

(33) أخرجه البخاري (2345) واللفظ له، ومسلم (1547).

(34) ((الزهد)) لأحمد بن حنبل (ص: 211).

(35) ((سير أعلام النبلاء)) للذهبي (8/72).

(36) ((سير أعلام النبلاء)) (8/72).

(37) ((ترتيب المدارك)) للقاضي عياض (2/53).

(38) ((سير أعلام النبلاء)) للذهبي (5/77).

(39) ((مداراة الناس)) لابن أبي الدنيا (ص: 102).

(40) ((مقدمة صحيح مسلم)) (1/15).

(41) ((حلية الأولياء)) لأبي نعيم (5/ 138).

(42) ((الزواجر)) لابن حجر الهيتمي (1/386).

(43) يُنظَر: ((تاريخ الإسلام)) للذهبي (10/ 755).

(44) ((تاريخ الإسلام)) للذهبي (33/ 139).

(45) ((تاريخ الإسلام)) للذهبي (44/ 251، 252).

(46) ((سير أعلام النبلاء)) للذهبي (23/129، 130).